وزارة التعليم والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ
المرحلة الثانية

# التاريخ الدولة العربية الاسلامية

# في العصر الاموي

## الفصل الاول

## المحاضرة الثانية

## اولاً: ولاية العهد

## ثانياً : انتقال عاصمة الدولة الإسلامية من الكوفة الى دمشق

استاذ المادة :
أ.م.د. زياد علي عبدالله

## الاسبوع الثاني

## اولاً: ولاية العهد :

مفهوم ولاية العهد في الإسلام تعني إن الشخص الذي يعهد اليه الخليفة أو الحاكم يتولى الحكم بعد وفاته، سواء بالنص عليه وحده ، أو على اكثر من شخص على التوالي . وهذا يعني أن الخلافة حُصِرت فى الأسرة الأموية، يتوارثها الأبناء والإخوة، ولم يكتف الخليفة منهم بتولية العهد لواحد فقط، بل درجوا على تولية أكثر من ولى للعهد، وكان مروان بن الحكم مؤسس الفرع المرواني أول من هذا التقليد، فقد عهد إلى ابنه(عبدالملك) ثم (عبدالعزيز) بولاية العهد، وقد تابعه في هذا كل من جاء بعده حتى آخر دولتهم، وقد جر هذا الأمر عليهم المتاعب، وأوقد نار الفتنة والصراع بين أبناء الأسرة الأموية أنفسهم، مما كان له أكبر الأثر فى تدهور الدولة والإسراع بسقوطها في نهاية الأمر.

وعلى الرغم من استقرار الخلافة بنظام التوريث فإن الأمويين حافظوا على نظام البيعة من حيث الشكل فكان الخليفة القائم يعهد من بعده بولاية الأمر إلى ابنه أو أخيه، ثم تؤخذ البيعة من الناس لمن صدر له كتاب العهد فى حياة الخليفة القائم، ثم تجدد له بعد وفاته، ومغزى هذا أنهم كانوا على يقين أن مجرد العهد ليس ملزمًا شرعًا للناس، بل لابد من البيعة العامة. وتعد ولاية العهد من أهم وأخطر المستجدات على المنظومة السياسية الاسلامية ، فهي بمثابة انقلاب على مبدأ الشورى الذي استحدث ابان حادثة السقيفة ، وأصبح عرفا متبعا لدى المسلمين

لم يكن أحد يظن أن بيعة المسلمين لمعاوية بن أبى سفيان ستكون إيذانا بتأسيس دولة أموية وراثية وكان المسلمون قد استبشروا خيرًا بهذه البيعة بعد فترة من الفتن والحروب ، دعمًا لوحدة الأمة ولم شملها، وتوقَّع المسلمون أن (معاوية) سيحذو حذو من سبقه من الخلفاء الراشدين ويترك الأمر شورى للمسلمين يختارون للخلافة من بعده من يرونه لتولي تبعات هذا المنصب الجليل، أو سيجتهد في اختيار شخص يراه أصلح الناس لتولى منصب الخلافة، ويكون بعيدًا عن قرابته كما فعل الخلفاء قبله، لكن (معاوية فاجأ الأمة الإسلامية بترشيح ابنه (يزيد) للخلافة من بعده، وبدأ في أخذ البيعة له في حياته، بدعم من أهل الشام، ولما نجح في ذلك لم يكن صعبًا عليه أن ينتزع البيعة لابنه من بقية الأقطار الإسلامية، بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى. وفي عام (٤٩هـ / ٦٦٩م) توفي الحسن بن علي فشجعت هذه الحادثة معاوية على اخذ البيعة لابنه يزيد، وانتهى الى التصميم على تنفيذها معتمداً على حلفائه قبائل الشام وفي

طليعتهم الضحاك بن قيس الفهري وحسان بن بحدل الكلبي، وكان عليه تذليل بعض العقبات التي اعترضت تنفيذ هذه الفكرة ولعل اهمها :-

- اقناع كبار شخصيات الحجاز، لاسيما ابناء الصحابة فكان عليه ان يحظى بتأييد الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن ابي بكر ، بالاضافة الى بعض الشخصيات الاموية الذين كانوا يتطلعون الى خلافته امثال مروان بن الحكم وسعيد بن العاص
- تهيئة يزيد لتحمل المسؤولية .
- قلب نظام الشورى، وجعل الحكم وراثياً .

اما فيما يتعلق باقناع كبار شخصيات الحجاز، فقد كتب معاوية الى مروان بن الحكم عامله على المدينة، ليستثير الناس في أمر اختيار خلفٍ له دون أن يسمي يزيد ولما جاءه الجواب بالموافقة، كتب الى مروان ليخبر الناس باختيار يزيد كما كتب الى عماله يأمرهم بمدحه وتقريظه وبارسال الوفود اليه من الامصار، فأقبلت الوفود من العراق وسائر بلاد الشام تبايعه . وسرعان ماتبين ان المدينة ستكون اكثر المدن الاسلامية معارضة لهذه البيعة حيث برز تيار معارض بزعامة عبد الرحمن بن ابي بكر، وحجته في ذلك أن معاوية يكون قد خرج عن سياسة اسلافه وجعل الخلافة وراثية، وأنكر الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر هذا التدبير فكتب مروان بذلك الى معاوية كما أن معارضة أهل الحجاز ل (معاوية) في خطواته، والذين رأوا في عمله خروجًا على ما ألفه المسلمون في اختيار خليفتهم ببيعة حرة قائمة على الشورى، وتركزت المعارضة في أربعة من أبناء كبار الصحابة، هم ( الإمام الحسين بن على بن أبى طالب و عبدالله بن الزبير)، و (عبدالله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر) . وتوافق هؤلاء الاربعة انه اذا كانت الخلافة وراثية فان حقهم فيها أكثر من حق يزيد اما اذا كانت بالاختيار لأفضل المرشحين فان يزيد يغدو بعيداً عن كل حق فيها لعدم وجود أي من الصفات المطلوبة فيه، لكن بيعة الحجازيين كانت ضرورية، لأن الحجاز مهد الاسلام ويعيش فيه الصحابة وابناؤهم لذلك كان لابد لمعاوية من الاقدام على عمل ما لتأمين هذه البيعة، فرأى ان يستعمل اللين أولاً مع المعارضين، فقدم بنفسه الى المدينة في عام ( ٥٠هـ / ٦٧٠م) واجتمع بالعبادلة ابناء الصحابة، وهم: عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر بن ابي طالب وعبد الرحمن بن ابي بكر وعبد الله بن الزبير وابدى امامهم رغبته في اخذ البيعة لابنه يزيد، فعارضوه وفشل في استمالتهم . قرر ان يتجاوزهم ، فعاد الى دمشق واخذ يعد العدة للحظة الحاسمة دون الالتفات الى رأي المعارضين خاصة وان اهل الشام والعراق بايعوا يزيد

وبدا لمعاوية ان يحاول مرة اخرى قبل الاقدام على تنفيذ البيعة لابنه، واستخدم عامله على المدينة سعيد بن العاص وسائل العنف والغلظة لحمل المعارضين على ذلك، فأبطأوا عنها الا اليسير منهم لاسيما بنو هاشم . وفي عام (٥٦هـ) اعلن معاوية رسمياً البيعة لابنه يزيد، ورتب احتفالات التنصيب في دمشق وكان الحجاز وحده غائباً عن المشاركة فيها، وخشي معاوية من تطور المعارضة الى عصيان، فتوجه الى المدينة ليضمن عن طريق شخصيته ومكانته تحقيق النجاح في كسب تأييد اهلها وارغام المعارضين على قبول البيعة . وما كاد يصل الى المدينة حتى غادرها المعارضون الى مكة، وبايع من بقي فيها ليزيد، وقرّر معاوية ان يجد السير في طلب المعارضين، وقد بلغ به الغضب أشده وفي المسجد حيث اجتمع بهم دافع ابن الزبير باسم رفاقه عن موقفهم الرافض، وجرى حوار فاشل، عندئذٍ ادرك انه لابد من اللجوء الى التهديد بالعقاب بعد أن فشلت وسائل الاقناع واستطاع بالحنكة والشدة حمل المعارضين على الاعتراف بولاية العهد ليزيد، باستثناء الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير اما الشخصيات الاموية التي كانت تتطلع نحو الخلافة، فلم تثر أية مشاكل جدّية في وجه معاوية، بفعل سياسته التي اتبعها تجاه هذه الشخصيات القائمة على التفرقة والايقاع بينها، خاصة بين مروان بن الحكم، وسعيد بن واستطاع عن طريق شخصيته واسلوبه السياسي تجاوزها واقتنع المعارضون اخيرا ان الاحداث قد تجاوزتهم فمالوا الى المهادنة.

اما فيما يتعلق بتهيئة يزيد لتحمل المسؤولية، فقد اردفه على رأس قوة عسكرية الى بلاد البيزنطيين لمساندة الجيش الاسلامي الذي كان يحاصر القسطنطينية انذاك بقيادة سفيان بن عوف، وحشد معه عدداً من كبار الشخصيات الاسلامية امثال: ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وابو ايوب الانصاري وغيرهم، وقد هدف معاوية ان يظهر ابنه امام المسلمين بمظهر المجاهد مما يساعده على تأهيله لمنصب الخلافة، ويمحو من ذاكرتهم ماعرف عنه من تهاون فيحرز بذلك كسباً ادبياً يرفع من شانه.

اما فيما يتعلق بمبدأ تحويل الحكم، فقد كان على معاوية اقناع الناس بقبول مبدأ الحكم الوراثي وتعيين ابنه يزيد فهو يمتلك القدرة على تنفيذ ما يريد، وتوظيف ثقله السياسي في اقناع المعارضين، وقد نجح في ذلك . ومهما يكن من امر فقد خالف معاوية شروط الخلافة، وانتقل بها من خلافة اسلامية شورية الى ملكية وراثية ويبدو أن نظام الشورى الذي طبقه الخلفاء الراشدون من قبل، لم يعد نظاماً صالحاً، بعد ان اتسعت رقعة الدولة، وتطورت اجهزتها الادارية، وانقضى جيل الصحابة، ويلائم هذا النظام البيئات القبلية والبيئة الراشدية بما كانت لها من مقومات خاصة لقرب عهد الخلفاء الراشدين من عهد الرسالة وان كان قد اثبت عدم

صلاحيته فى عهد عثمان بفعل ما نشب من خلافات تحولت الى ثورات خطيرة ترتبت عليها احداث مفجعة مما دفع معاوية الى حصر
في بيت معين مع الاحتفاظ بمظهر البيعة

وقد تطورت معارضة الأوَّلين إلى خروج (الإمام الحسين) على (يزيد) بعد موت (معاوية)، واستشهاده في موقعة (كربلاء) المشهورة سنة (٦١هـ)، وإلى دعوة (عبدالله بن الزبير) بالخلافة لنفسه بعد موت يزيد بن معاوية) سنة (٦٤هـ ) ، ثم دخوله في صراع مع الأمويين، انتهى بمقتله سنة (٣هـ) ، بعد أن دامت خلافته تسع سنوات، وسيأتي تفصيل ذلك في محل

ولو أن (معاوية) عهد إلى أحدٍ غير ابنه، واجتهد في اختيار من هم أصلح للخلافة بعده، ما اعترض عليه أحد، كما أن الاعتراضات على تصرف معاوية) جاءت من اختياره ابنه لولاية العهد دون سواه، لا من فكرة ولاية العهد نفسها. وممن وافق معاوية في ترشيحه لابنه يزيد المؤرخ الكبير ابن خلدون في مقدمته بدعوى دفع الفتنة وتحقيق الوحدة ، وكان الأولى بمعاوية أن يعين من أفاضل المجتمع الإسلامي رجالاً يجعلهم موضع شورى يختاروا من كان أهلاً للخلافة ويبتعد عن ترشيح ابنه يزيد، لأن اختيار يزيد لم يكن الاختلاف والقتال وسفك الدماء ولقد وقع المحظور بعد وفاة معاوية، وسفكت الدماء ولم يزح اختيار معاوية يزيد ما تعلل به من المخاوف، ويبدو أنه وقع ما وقع بسبب شخصية يزيد، وإتباع الوراثة بديلاً من الشورى في اختيار الخليفة ولأسباب أخرى وعلى كل حال فمعاوية اجتهد ولم يكن مصيبا. ولم نعثر في المصادر التاريخية على تحديد دقيق لتلك الفترة التي بدأ فيها معاوية يفكر تفكيراً جدياً في تولية ولده يزيد من بعده خليفة المسلمين. ولكنه بالتأكيد لم يفكر إلا بعد سنة الخمسين من الهجرة، وذلك بعد أن خلت الساحة من وجود الصحابة الكبار المبشرين بالجنة، وبدأت هذه الفكرة في الظهور في عهد زياد بن ابيه على العراق وبعدها أصبح معاوية يهيء الأمور لترشيح يزيد للخلافة، وكان من الطبيعي يستشير زياد أبيه بعدما أصبح أخاً له.

## ثانياً : انتقال عاصمة الدولة الإسلامية من الكوفة الى دمشق

هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة المنورة ، لتكون منطلق دعوته للعالم بأسره ، واتخذها سكنا ومستقرا ومقرا لحكمه ودعوته ، ولم يغادرها حتى بعد فتح مكة مسقط رأسه . وانطلق من المدينة سفراء الدعوة الى أرجاء المعمورة ، وعقدت فيها ألوية جيوش الفاتحين . واستمر الحال على ذلك الى أن تولى الخليفة الرابع الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام الخلافة سنة ٣٥ هـ ، نقل مقر خلافته من المدينة الى العراق واتخذ من الكوفة مقرا له وعاصمة جديدة للمسلمين ، وبذلك يكون أول خليفة نقل مقر الحكم في العهد الاسلامي ، ولعل السبب يكمن في النقاط الآتية :

١- بحثا عن الاستقرار بعد الانقسامات والفتن التي حدثت بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه .

٢- عدم توافر الكثافة السكانية اللازمة لتحمل عبء المواجهة والتحديات الجديدة .

٣- ضعف الموارد الاقتصادية في المدينة اللازمة لتأمين حاجيات الجيوش الفاتحة

٤- الموقع الاستراتيجي لمدينة الكوفة

وحين آل الحكم الى البيت الأموي عمد معاوية الى نقل مقر الخلافة من الكوفة الى دمشق ، لعدة أسباب نوجزها بالآتي :

١- أن معاوية عمل واليا على بلاد الشام وأميرا لها لعشرين سنة ، ثم أصبح خليفة للمسلمين ، واتخذ من دمشق عاصمة له ، لأنها كانت موطن أنصاره الذين أخلصوا له وأيدوه ووقفوا الى جانبه في صراعاته السياسية

٢- أن الكوفة بنظره لم تعد تصلح له ولمؤيديه ، لإعتبارها علوية الهوى

٣- وفرة خيراتها ومياهها ومصاهراته وعلاقاته التي بناها فيها لمدة طويلة .

٤- موقعها الاستراتيجي الحصين بجبل قاسيون مما يجعلها منيعة ، ومركزا تجاريا فهي مقصد الرحلات الصيفية التجارية مع الحجاز ، وقربها من الروم الذي يستدعي ان يكون قريبا من جيوشه الفاتحة .

٥- الشام ارض مباركة وموطن أغلب الانبياء عليهم السلام

٦- بلاد الشام عامة موالية للبيت الاموي من حيث الاتباع والمؤيدين ، ( أموية الهوى ). لهذه الاسباب كلها اتخذها معاوية عاصمة له ولذريته وليرتبط تاريخها بالتاريخ الاموي .